السياسة AL-SEYASSAH
الجمعة 14 رمضان 1427 هـ الموافق 6 أكتوبر (تشرين الأول) 2006م (السنة 39) العدد (13618)

مستقبل الفضائيات العربية

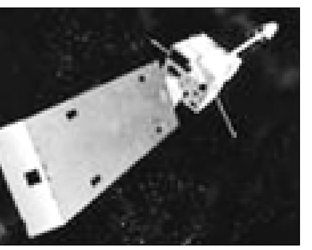

تكاثرها العشوائي يولد التكرار والملل... والبقاء للأفضل والأصلح

«الفضائيات» هزت سياسة الصمت العربية رغم «الترسانات القانونية» للأنظمة والحكومات

القنوات العربية تمارس سياسة «التقيا» في تبنيها للمعايير الغربية

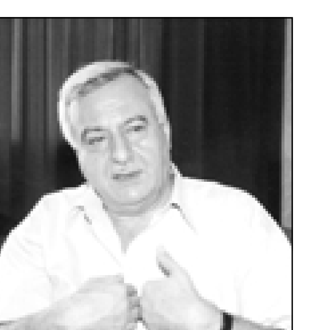

■ رياض جرجورة ■

■ ماجدة أبو فاضل خلال زيارتها مقر «كونا» ■

بيروت - من يولا أحمد:

■ الكتاب خير جليس في الأنام والتلفزيون الأقرب إليهم خاصة مع وجود الفضائيات وتعدد الخيارات لتلقي قنوات ومشاهدتها.

واليوم وبعد مرور 15 سنة على اطلاق الفضائيات في العالم العربي، هل وصلت إلى ذروة عطائها ليس تقنياً بل لجهة المضمون الذي تقدمه والشكل الذي تقدمه به؟ هل تعزز الديمقراطية وتكرس احترام تعددية الآراء والانتماءات السياسية والدينية؟ وهل بعد استخدام الإعلام لخدمة الأهداف الإيديولوجية (كما حصل في ألمانيا) والإبادة العرقية (كما شاهدنا ذلك في رواندا)، سيستغل البث الفضائي في العالم العربي لتأليب أبناء الديانات المختلفة بعضهم على بعض؟

الفضائيات في عصر «الجمهوريات الملكية»

يرى البعض أن الفضائيات كان لها تأثير ايجابي سياسياً، اجتماعياً ومهنياً على عالم الصحافة والمجتمع العربي ككل. فعلى الصعيد السياسي، استطاعت منذ التسعينات حتى الآن أن تتخطى حواجز الرقابة المحلية في البلاد العربية لتعيد اطلاق المناقشة السياسية والتفكير النقدي. اجتماعياً، عبر مد جسور التواصل الثقافي واللغوي بين المقيمين في الوطن العربي وبين المغتربين. وكذلك عبر اعطاء المرأة الفرصة لتبرز قدراتها الكامنة. والنتيجة كانت مثلاً أن ارتفع أكثر من صوت تحية للزميلتين شيرين أبو عاقلة وجيفارا البديري من فضائية «الجزيرة» على تغطيتهما المميزة للنزاع الفلسطيني- الإسرائيلي. مهنياً، عبر اتاحة الفرصة لتحسين حرية الصحافة واحترافيتها وتعزيز الثقافة السياسية.

ويبدو أن برتراند جينيه صاحب تقرير «وسائل الإعلام في العالم العربي: البشائر الجديدة للديمقراطية؟» (صدر عن الاتحاد العالمي للصحافيين، 2005)، جد مقتنع بهذه الفكرة فيقول ان «المناقشات السياسية التي تقودها «الجزيرة» مباشرة «كالاتجاه المعاكس» لفيصل القاسم و«الحوار المفتوح» لغسان بن جدو (...) تقدم صورة متجددة عن المشاكل العربية. ومن خلال هز سياسة الصمت، فهي تشكل الأساس لشكل جديد من الثقافة السياسية على مستوى اقليمي».

هذا التقدم ضاق أو اتسع نطاقه كان لا بد له من حافز ومن وسيلة. والـ «سي. ان. ان» استطاعت أن تضطلع بالدور الأول حيث رفعت سقف المنافسة إلى أعلى مستوياته خلال تغطية حرب الخليج (1991). فكان الخبر الآني والمباشر والخام الذي حل مكان الخبر المعلب الذي اعتادت أن تقدمه محطات التلفزة العربية. والفرق بين هذين النوعين من التغطية لا يستهان به والمثال على ذلك أن النخب السعودية علمت بالغزو العراقي للكويت من الـ «سي. ان. ان» والقناة الأميركية في الوقت الذي لم يعلن فيه التلفزيون السعودي عنه متجنباً ذكر الموضوع لمدة ثلاثة أيام.

أما الوسيلة التي اتاحت هذا التقدم فكانت القفزة النوعية والكمية التي حققتها تكنولوجيا الأقمار الصناعية مع إطلاق مجموعة الأقمار «اوتيلسات» والجيلين الثاني والثالث من الأقمار الصناعية «أرابسات» بين 1996 و1998. يضاف إلى ذلك انتشار الأطباق الهوائية اللاقطة بشكل واسع حتى في الدول العربية ذات الإمكانيات الاقتصادية المحدودة.

إذن يمكن القول بشكل عام ان الفضائيات تشكل نقلة نوعية في الإعلام العربي ولكن هذا لا ينفي وجود بعض الثغرات أو القصور في أدائها. وفي طليعة الأسباب لهذا القصور طبيعة النظام السياسي للبلد الذي تبث منه. وتقول الأستاذة ماجدة أبو فاضل، مديرة معهد الصحافيين المحترفين في الجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت، لجريدة «السياسة» أن الفضائيات «وسعت آفاق الإعلام الذي هو أساساً في العالم العربي محصور بالحكومات». وتوضح أبو فاضل أن الفضائيات وعلى الرغم من ذلك، لا تعزز الديمقراطية بمعنى إمكانية التعبير عن الرأي دون التعرض للقمع.

الديمقراطية التي تعرضها الفضائيات افتراضية بعيدة عن الواقع العربي

وطبيعة النظام السياسي للبلد تلعب أيضاً دوراً في تناول بعض المواضيع وتجنب غيرها من تلك التي تطال الشؤون السياسية والاجتماعية والثقافية وحتى الدينية. يضاف إلى ذلك كما تقول أبو فاضل حقيقة، أن الفضائيات «لا تدير الكاميرات على أنفسها وترفض النقد الذاتي وهنا المشكلة الكبيرة».

«فلنكن واضحين»، تقول أبو فاضل في اجابة عن سؤال حول «الجزيرة»، «من الصعب أن تأتي «الجزيرة» أو تلفزيون قطر مثلاً وينتقد الأمير أو العائلة المالكة مثلاً الأمر في الكويت. ويوجد بلاد لا يمكن حتى التفكير في ذلك. ولديك دول ليس لديها فضائيات نصف متحررة لأن «الجزيرة»، «العربية» الخ أنا أسميها نصف متحررة. ولكن توجد وسائل إعلام في دول عربية كلها ملك للدولة وبالتالي لا يمكن لها أن تفكر في ذلك (أي النقد)».

وإذا ما كانت المقارنة التي تعتمد عليها هي بين الفضائيات في العالم العربي ومثيلاتها الغربية تقول أ. أبو فاضل «أن الإعلام حر في البلاد الديمقراطية ولكن ليس بالضرورة في أوروبا وأميركا الشمالية إذ توجد بلاد ديمقراطية في آسيا كالهند مثلاً. ونحن يجب أن نأخذ أفضل ما يقدمه الإعلام في الدول الديمقراطية المتطورة (...) التي لا يوجد فيها جملكيات (جمهورية- ملكية)».

ضرورة النقد الذاتي

ومن آثار النظام السياسي على حرية عمل الفضائيات أيضاً، حقيقة وجود ما يسميه جينيه في الدراسة المشار إليها سابقاً، «بالترسانة القانونية» التي تحاط بها وسائل الإعلام بشكل عام ومن ضمنها قانون الجزاء والقوانين حول الأمن الوطني خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001.

لذلك هو ينتقد فكرة اقامة مناطق إعلامية حرة على غرار المناطق التجارية والتي يقوم مبدأها على استقطاب الفضائيات الدولية ومحطات الراديو. وذلك باللجوء لتخفيضات في الضرائب وفي كلفة الانتاج وتأمين يد عاملة ماهرة، إلى جانب عدم اخضاع هذه الوسائل الإعلامية للقوانين التحديدية التي تطبق على وسائل الإعلام الوطنية.

وهكذا تصبح الفضائيات الدولية والفضائيات التابعة للدولة خاضعة لمعايير مختلفة في التعامل. ويذكر جينيه أن الصحافة الأردنية اختارت اللعب على الألفاظ لتقول أن صفة «الحرة» ترجع للمناطق وليس لوسائل الإعلام في فصل واضح لحرية التجارة وحرية الإعلام حيث تطبق الأولى دون الثانية. وقد تصبح هذه المناطق يوماً ما «حرة من الإعلام»، كما قيل وقتها!

ولا تتأثر الفضائيات بالبيئة القانونية والسياسية للبلد الذي تبث منه بل كذلك بالحركية الاجتماعية والاقتصادية على صعيد محلي وإقليمي ودولي. وتأثرها بذلك يكون تلقائياً. ولا يمكن أن يعد فعلاً مصدراً لقصور في أدائها ولكنه يطرح مسألة ملائمة اختيار الأخبار وترتيبتها حسب أولوية معينة وفقاً لتطلعات المشاهد العربي. ويلاحظ أن الخبر السياسي والاقتصادي يتصدر القائمة التي تختار منها الفضائيات أخبارها على حساب تهميش الخبر الثقافي أو المرتبط بالشأن الحياتي اليومي، مع تفضيل الخبر الدولي واعطاءه حق الصدارة على حساب الخبر المحلي.

ويرجع ذلك إلى عدد من الأسباب. أولاً، ان التركيز على الخبر الدولي نزعة في معظم الفضائيات الغربية ومن الطبيعي أن تتأثر بها الفضائيات العربية باعتبار أننا نشهد حالة من «التقاء القيم» على حد تعبير نوهها ميللور حيث تتبنى الفضائيات العربية المعايير الغربية. ولكن لا يجب أن ننسى بالمقابل أن انتقاء الخبر يختلف من ثقافة إلى أخرى، فما يشكل خبراً في العالم العربي قد لا يكون كذلك في أوروبا على سبيل المثال والعكس صحيح. كما أن الطريقة التي تختار بها أية قناة فضائية المواضيع في نشرات الأخبار والحلقات الحوارية لا تندرج بالضرورة في سياق برنامج متعمد لتهميش أخبار دون سواها بل قد تأتي استجابة لأهميتها كما تراها هذه الفضائية. ثانياً، تأثير ما يحدث في العالم من عوامل اقتصادية واجتماعية على تطور الحياة السياسية والاجتماعية في الدول العربية. ثالثاً، حقيقة أن بعض الفضائيات تبث من الخارج فتكون النظرة إلى

■ المناطق الإعلامية الحرة في الشرق الأوسط غنية بكل شيء إلا الإعلام الحر

العالم العربي كمن ينظر إليه من وراء نافذة.

ولكن كل ذلك لا يمنع أن تركز على ما يهم المشاهد فعلاً كما يراه هو وليس كما تراه هي. وتقول أبو فاضل في ذلك انطلاقاً من مزاولتها لمهنة الصحافة أكثر من 20 عاماً، أن انتقاء المواضيع يجب أن يكون دوماً قريباً من هموم المشاهد: الشأن المعيشي اليومي (الضرائب، الكهرباء، الضمان ...)، الشأن البيئي، الثقافات في العالم العربي (كالبهائية في إيران...)، الصحة، المجال التعليمي، نجاح المرأة أو الآخر القريب «وليس فقط الآخر الموجود ما وراء البحار».

وذلك يستلزم إدخال مفهوم جديد على البرامج التي تعدها هذه الفضائيات كإعلانات للخدمات العامة وهي عبارة عن حملات للتوعية بخصوص مشكلات بيئية أو صحية في أغلب الأحوال وغالباً ما تعرضها القنوات الفضائية الأجنبية كما تحدد أبو فاضل. كما تشرح أن غياب هذا النوع من الحملات قد يكون سببه أنه لا يدر الأموال على الفضائيات. وهذه التعديلات سوف تؤدي بالطبع إلى تنوع في المضمون. تنوع قد يستنزف بفعل التشابه في البرامج وفي استضافة نفس الشخصيات لمناقشة نفس الموضوع.

ديمقراطية الواقع أم الشاشة؟

على أية حال فإن النقاش حول هذه المسألة مفتوح تأييداً أو رفضاً. وكذلك ان تنفيذ هذه الاقتراحات ليس سهلاً والتحدي يكمن في مقاربة أي موضوع مطروح على طاولة البحث بطريقة متميزة وهذا التميز لا يجب أن يكون على صعيد المضمون بل الشكل أيضاً. فإلى أي مدى نجحت الفضائيات في ذلك؟

تجيب أبو فاضل على هذا السؤال بالقول ان الأسلوب المعتمد في عرض الموضوع في بعض البرامج (الاقتصادية بشكل خاص) ليس مبسطاً ومفهوماً نظراً للتعابير التقنية المستخدمة. إلى جانب ذلك فإن الفضائيات لا تأخذ بعين الاعتبار حقيقة تعدد الثقافات واللهجات في العالم العربي ونسب الأمية في الدول المتلقية. «فنسبة الأمية عالية في البلاد العربية، تقول أبو فاضل، فهل يفهمون كل ما يشاهدونه. أشك في ذلك خصوصاً إذا كان في اللغة العربية الفصحى».

ولتفادي ذلك يجب اللجوء إلى سياسة تسويقية تتكيف مع حاجات السوق الذي تتوجه إليه الفضائيات والاعتماد على صحافيين متخصصين يلجأون إلى الأسلوب البسيط والمفيد والمقنع، كما تشرح أبو فاضل.

هذه المآخذ والتي تطال تعامل الفضائيات مع الأخبار شكلاً ومضموناً ليس خاتمة الاعتراض إذ يسجل عليها كذلك الانحراف عن مسار العرض الإخباري المهني إلى ما يشبه صناعة الترفيه. فالحوارات أو «التوك - الشو» غالباً ما تنقلب إلى ساحة للصراع بين الضيوف. ولا غرابة أن البعض أصبح يطلق لقب «المصارعين» على أهل السياسة. وهذه الكلمة لم يتم استخدامها للدلالة على الطبيعة العنيفة للمداخلات بل إشارة إلى أولئك الذين كانوا يتقاتلون فيما بينهم إرضاءً لنزوات الأباطرة الرومان.

فالاعتماد على الآراء المتعددة تقول أبو فاضل، أمر مرغوب فيه ولكن ليس الصراخ «لذلك يجب أن تكون التعددية عقلانية (...) حتى يصبح هناك نقاش له مغزى، له نتيجة. لقد سئمنا الشعارات. نحن نريد نتائج».

ولكن هل هذا ممكن عندما تكون الشعارات موظفة لهدف ترفيهي؟ وهذا السؤال منبعه قناعة بعض الباحثين أن المشاهد هو ضحية «عرض تمثيلي» نظم خصيصاً له ليلتهي عن عيش حياته بمشاهدة حياة الآخرين على الشاشة. والمشاهد يقوم بالمشاهدة دون أن يعيش الأمر فعلاً وذلك ينطبق على كل شيء بما فيه الديمقراطية التي يشاهدها على الشاشة دونما أن يمارسها كأنما الذين يمارسونها يفعلون ذلك بالنيابة عنه أي كممثلين عنه. فتكون الديمقراطية بالتالي «افتراضية»، ديمقراطية الشاشة وليس ديمقراطية الواقع!

ويوحي جينيه أن ذلك ليس عرضياً في بلاد خاضعة فيه كما يقول 70 محطة من أصل 120 إلى إشراف حكومي رسمي (الرقم يسوقه جينيه بناء على تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية البشرية عن عام 2003). كما أنه متوافق من وجهة نظره مع بث بعض الفضائيات من خارج العالم العربي. فتكون النظرة التي تلقيها إلى هذا العالم نظرة خارجية وهنا تكتسي الديمقراطية صفة جديدة إذ تصبح ديمقراطية بعيدة عن الواقع العربي أو «ديمقراطية أوف-شور».

وهذه النظرة التي يشوبها بعض من التشاؤم فيها نوع من المبالغة أو أقله خروج عن السياق العربي لأن مفهوم «العرض التمثيلي» خرج به مخرج سينمائي وكاتب فرنسي هو غي دوبور ليصف حالة الإعلام في المجتمع الغربي. والنظرية التي قد تنطبق على العالم الغربي لا تنطبق بالضرورة على العالم العربي.

الفضائيات ومعالجة الحدث الديني

تلك كانت مناقشة عامة لأداء الفضائيات وضمن هذه المناقشة لا بد من تخصيص مساحة خاصة لتعامل هذه الفضائيات مع الحدث الديني لسببين أساسيين. الأول هو التوترات الدينية التي تشهدها بعض البلدان العربية والثاني هو امكانية استغلال البث الفضائي لنشر أفكار تحرض الأديان بعضها على بعض. وإذا كان أصحاب هذه النزعة لأي دين أو طائفة انتموا، قد اتخذوا من الإنترنت وسيلة للتعبير عن أفكارهم، الا أن الصورة والصوت والكلمة أقوى من الكلمة على حدى أو من الصورة والكلمة معاً أو الصوت والكلمة معاً.

وهذه الملاحظة تنطبق على الفضائيات الإخبارية والفضائيات معاً وان بدرجة أخف بالنسبة للأولى. ويقول القس رياض جرجورة، رئيس الفريق العربي للحوار الإسلامي والمسيحي، لـ «السياسة» أنهم يهتمون كفريق بكيفية تعاطي الإعلام مع الشأن الديني، خصوصا مع وجود «توترات سلبية تنعكس على حياة المسلمين مع بعضهم البعض في العراق وعلى حياة المسلمين والمسيحيين في بعض الدول العربية». ويضيف جرجورة أنهم لاحظوا في تغطيات صحافية من نوع ما حدث مع وفاء قسطنطين وما تبعها من حوادث في الإسكندرية والحوادث التي جرت في الصعيد أن «الإعلام بدل أن يؤدي إلى التفاهم والتصالح كان يتعاطى معها بشكل يزيد من تصعيد الأزمة».

ولكن كيف تستطيع تغطية تلفزيونية أن تحول حدثاً ما إلى أزمة؟

يجيب القس على ذلك بالقول أن الفضائيات تزيد من حدة التوتر عندما تتعاطى مع الأحداث بطريقة منفعلة مهيجة الباطن الديني لدى الناس أو من وجهة نظر سياسية. ومن شأن ذلك أن يجعلهم يفكرون في الحدث كل واحد من موقعه كمسلم أو مسيحي وليس كمواطن. وعلى سبيل المثال يقول القس أنه في التظاهرة التي حصلت في الإسكندرية، كان بالإمكان الاستغناء عن المشهد الذي حصل فيه هجوم على الكنيسة فهو كمسيحي يمكن أن يأخذ فكرة غير جيدة عن الذي يحصل. ولكن القس مدرك في نفس الوقت أن التغطية في هكذا مواقف تكون كما يقول «إخبارية وليست خاصة ولذلك الخبر هنا يعتبر نبأ في خبر وليس معلومة يمكن أن تسيء إلى المسلمين أو المسيحيين». لذلك فإن التغطية الآنية للحدث يجب أن تكملها الفضائيات لاحقاً بتغطية لما بعد الحدث لوضع الأمور في نصابها والتأكد من عدم تعديها حدودها واظهار «كيف يمكن أن يكون هناك وفاق إسلامي-مسيحي من بعد أن عرضوا هكذا أمر»، كما يقول جرجورة. ويضيف أن «الكثير من المسيحيين يشعرون وهم يرون ذلك المشهد من الخوف مما قد يتم في المستقبل».

هذا بالنسبة إلى الفضائيات المعروفة بشكل عام ولكن يلاحظ القس أنه توجد بعض الفضائيات «الدخيلة» على العالم العربي والتي تزيد من التوتر الطائفي. ويقول أنهم تعرضوا «لهذا الأمر في أحد اللقاءات الخاصة التي عقدها الفريق العربي: الفضائية التي يتكلم فيها الكاهن المصري ونسيت اسمها (الرؤية... جهو يقصد قناة الحياة مع أنه لم يسمها) التي يتكلم فيها عن النبي والقرآن. هذه الفضائية بالذات طلب منها أكثر من مرة أنه كيف يمكننا كفريق عربي أن نسعى للتوصل إلى التفاهم مع القيمين عليها لإيقافها. وهي تخلق نوعاً من الحساسية والعداء تجاه ما يقال وأنا برأيي أن مثل هذه الفضائية لا تؤدي إلى تناغم وتفاهم بين المسلمين في الشرق، وفي الجانب الآخر ترين بعض القنوات مثل تيلي لوميير وفيها برامج تسامح تؤدي إلى توطيد العلاقات الإسلامية-المسيحية».

الفضائيات الإخبارية «نصف متحررة» بعدما رهنت نفسها للمال السياسي

ومما قاله القس كذلك بخصوص هذا الموضوع أن «بعض أصدقائنا المسلمين تذمروا إلينا من هذه القناة (الحياة). المسلمون الذين يسمعون هذه القناة سوف يكون لهم رد فعل سلبي على المسيحيين والمشكلة إن الرجل يظهر وهو يرتدي ثيابه ككاهن».

مستقبل الفضائيات

وطبعاً لا يمكن اغفال هذه النقطة الحساسة لأن بعض الفضائيات غير الإخبارية والتي تبث برامج من وحي ديني تتحدث من خلال برامجها عن اضطهاد المسيحيين في العالم العربي. فما مدى صحة ذلك؟ يجيب جرجورة على ذلك أنه «من الخطأ القول أنه يوجد عنصرية لأنه كل عمرنا عايشين في الوطن العربي بمحبة وتفاهم. ونحن ذهبنا إلى أميركا لنتكلم عن نموذج العيش الواحد بين المسلمين والمسيحيين في الوطن العربي ليقتدوا به في أميركا وأوروبا. ولكن هذا لا يمنع أن نذكر أنه في السنوات الأخيرة، منذ حرب لبنان إلى الآن، انه يوجد نوع من التوتر ولكن ازداد في الفترة الأخيرة». ويضيف على ذلك أنه خلال عمله «30 سنة في مجلس كنائس الشرق الأوسط و10 سنوات كأمينه العام، كانت تأتي إلينا رسائل من الخارج أنه يوجد فلان هارب ويقول انه مضطهد. ليس هناك من اضطهاد ديني في العالم العربي والذين يستعملون هذه اللغة يفعلون ذلك لأسباب خاصة ليأخذوا عطف الأشخاص الذين يتعاطون معهم».

لذلك فإن دور الفضائيات مهم في تعميم المعرفة عن الآخر، كما يرى جرجورة. «لدينا في العالم العربي جيل يجب أن يربى بالتعلم عن الآخر. وأنا نظمت في عَمان لقاء عن الآخر كما أعرفه أو أجهله واكتشفنا في هذا اللقاء أننا لا نعرف الكثير عن بعضنا البعض. وأكبر مشكلة نواجهها والتي لا تركز عليها الفضائيات: 1) الآخر الذي أجهله (والجهل أكبر عدو) 2) الخوف من الآخر 3) غياب التوعية والمعرفة الصحيحة عن الآخر كما يريد هو أن يعرف نفسه وكيفما يريدني أن أعرفه منه شخصياً وليس من شخص آخر».

ويضيف على ذلك إن «الكتاب المدرسي لا يعطي صورة عن الآخر وهذه من إحدى مهمات المجتمع المدني ومن إحدى مهمات الإعلام وبشكل خاص إعلام الفضائيات». ولكن الفضائيات ليست ملزمة بلعب هذا الدور. ملاحظة يجيب عليها جرجورة بالقول ان «هناك توصيتان رئيسيتان نعمل عليهما كفريق عربي للحوار الإسلامي- المسيحي: 1) شرعة أو وثيقة حول الاحترام المتبادل بين المسلمين والمسيحيين 2) شرعة أو وثيقة للإعلام لتغطية الأحداث الدينية». «من هنا نتوقع في وقت ما أن نوجه دعوة إلى المسؤولين عن وسائل الإعلام والفضائيات حتى نسعى إلى وضع شرعة حول تغطية الأحداث الدينية بطريقة لا تسيء إلى مشاعر المؤمنين». وبالنتيجة ان الفضائيات وعلى الرغم من كل الإشكاليات التي تثيرها لها دور كبير على أكثر من صعيد. والإشارة إلى المجالات التي يمكن لها أن تركز عليها أكثر يأتي من باب النقد البناء خصوصاً مع التقدم الذي نشهده والذي من المرجح أن يعزز دور وسائل الإعلام في حياة كل إنسان. وعن الشكل الذي قد تأخذه الفضائيات في المستقبل تقول أبو فاضل أنه من الصعب عليها أن تتكهن بذلك. «فتطور الإعلام والتقنيات يتم بسرعة رهيبة وربما مستقبلاً قد يصبح الإعلام في آلة من هذا الحجم (قالت ذلك وهي تشير إلى هاتفها المحمول) وفيه تلفزيون وانترنت. ولقد تحقق هذا الأمر فعلاً».

وتكمل في نفس الإطار فتقول أنه «في السابق كنا نقول The press أي الإعلام المطبوع ولكن اليوم كل الصحف لديها موقعها على الانترنت. والانترنت أصبح صوت وصورة أيضاً ويوجد إذاعات فقط على الإنترنت. ولم تعودي تستطيعين أن تقولي كما في السابق أنه يوجد راديو وتلفزيون وانترنت. كل الوسائل اندمجت بعضها ببعض. ومن الآن حتى السنوات العشر المقبلة أرى أنها ستصبح كلها في قناة واحدة». وفي ظل توقع التضخم المستقبلي للفضائيات تنهي أبو فاضل الكلام بأن تكاثر الفضائيات يولد التكرار والملل. وتضيف أنه بعينين فقط للمشاهدة واصبع واحد يتنقل على آلة التحكم لا يمكن مشاهدة كل شيء أو يصبح الأمر كما حدث مع زوجة الرئيس الفيليبيني الأسبق فرديناند ماركوس (1917-1989)، ايميلدا ماركوس، التي كانت تملك 3000 زوج أحذية والتي طبعاً لم تستطع ارتداؤها كلها. «فالطفرة تولد الغربلة وبالنتيجة لا يبقى إلا الأفضل».

■ لا مستقبل للإعلام في الجمهوريات الوراثية ■ المشاهد ضحية «العروض التمثيلية»

... والبرامج الحوارية تحولت حلبة مصارعة بين أهل السياسة ■ الإنترنت

«سيبتلع» خلال عقد الإذاعة والتلفزيون والصحف ويشكل منها قناة واحدة

■ الأقمار الصناعية تساهم في التكاثر العشوائي لـ «الفضائيات» ■

هل تعلم؟

● ذكر دافيد هيرست في صحيفة «لوموند ديبلوماتيك» الفرنسية (عدد أغسطس 2000، ص. 8)، أن الرئيس المصري محمد حسني مبارك قال عن «الجزيرة» خلال زيارته لمقرها «كل هذه الضجة جاءت من علبة السردين هذه؟».

● ذكر السفير الأميركي السابق في اليمن والإمارات العربية المتحدة، وليام رو، في كتاب له عن وسائل الإعلام في العالم العربي أنه سمع مرة رئيس تحرير دورية عربية يتذمر من ضيق الحال. فلقد خلص بعد أن قام بحساباته لعام 2003 إلى أن دخل الوسائل الإعلامية العربية مجتمعة هو أقل بكثير من دخل «نيويورك تايمز» أو من «واشنطن بوست». كما أن الرواتب التي يتلقاها كل الصحافيين في المملكة العربية السعودية بالكاد تناهز ما يتقاضاه بيتر جينينغز (1938- 2005)، مقدم البرامج النجم في محطة «إي. بي. سي» الأميركية!

● ظهر التلفزيون للمرة الأولى في العالم العربي في الخمسينات من القرن الماضي في العراق ولبنان حيث جهزت كل من بغداد وبيروت بأجهزة للإرسال. وفي ليبيا كان بالإمكان مشاهدة برامج يبثها الجيش الأميركي بالقرب من قاعدة «ويلوس آير فورس». أما في المملكة العربية السعودية وفي الظهران تحديداً فكانت شركة النفط العربية الأميركية تبث رسائل كان بإمكان السعوديين المقيمين في وحدات بالقرب من مقر الشركة تلقيها. وبعد ظهور التلفزيون اليمني في أواخر عام 1975، تمكنت كل الدول العربية حتى الفقيرة منها من تطوير أنظمة التوزيع التلفزيوني الخاصة بها وأن تجهز المناطق بمُرَحِلات أرضية قادرة على بث البرامج عبر الأقمار الصناعية.

● تم اطلاق أول قمر صناعي من مجموعة الأقمار الصناعية «عربسات» عام 1985 وكان يتيح اعادة بث الإشارات التلفزيونية ولكنه لم يستغل على الفور نظراً لقلة المنازل المجهزة بأطباق هوائية لاقطة. وفي المقابل تم استخدام الأقمار الصناعية على المستوى الداخلي لتبادل المعلومات بين محطات التلفزة التابعة للدولة في العالم العربي. ولقد استخدمت المملكة العربية السعودية القمر الصناعي في أول الأمر لإعادة بث صور الحج كما استخدمته مصر لمواجهة الحملة التي كان يشنها عليها راديو بغداد خلال حرب الخليج الأولى.